

الشعر العربي وتطوره في شبه القارة

Arabic poetry and its development in the subcontinent

Dr. Fakhar-ul-Zaman

Senior Subject Specialist Arabic/Islamic Studies Punjab Curriculum and Textbook Board, Lahore.

Dr. Najma Naheed

Principal Quaid-e-Azam Academy for Educational Development, Talagang

Received on: 07-02-2022

Accepted on: 15-03-2022

Abstract

Arabic is considered one of the oldest languages in the world. The Arabs traveled east and west with the Arab conquerors. Whenever Arab Muslims concurred any country, they adopted their mother tongue, Arabic, as their official language. It is difficult to determine when exactly relations between Arabs and peoples of the subcontinent developed. Under the rule of the Umayyad dynasty, led by the great Muslim general Muhammad bin Qasim, the Arabs invaded the subcontinent via Sindh as conquerors. The people of the subcontinent were very impressed with the richness of Arabic literature. They showed their interest in learning the Arabic language. When the Arab conquerors began to praise the achievements of Muhammad bin Qasim in poetic form, they proved highly poetic and led to the beginning of Arab poetry in the subcontinent. Abu Ata-ul-Sindi, Abu Zira al-Sindi, and Najie al-Sindi were the most prominent figures to use the Arabic language as a medium of expression. Abu Atta al-Sindi was the first poet to write elegiacs in Arabic. The resulting tradition of Arabic poetry continued in some arrangement after the founding of Pakistan in 1947. Arabic poetry became even richer when certain poets began to use different forms of poetry such as Madha, hijah, riz, and rasa to express their deepest feelings. Madha and rasa (elegy) are the two forms of Arabic poetry that were used in the subcontinent by different poets.

Keywords: Arabic language, Conquerors, trace, interest, Muhammad Bin Qasim, poetry, elegies

إن شبه القارة أو جنوب آسيا هي من المناطق أو البلاد غير العربية التي قد ساهمت بالكثير في الآداب العربية وأنتجت شعرا عربياً، ونشأ فيها عدد غير قليل من الشعراء، وساهموا في إنتاج الشعر العربي الرصين الذي يجدر بالعبارة والاهتمام ويستحق الدراسة والتقدير على كل حال- ولكنه، مع الأسف قد ظل يلقى الإهمال والازدراء، وبقي في معرض الخمول والنسيان طوال العصور المتتابعة حيث لم يعن به أحد من أبناء الأمة الإسلامية في شبه القارة أو في خارجها من العرب والعجم-

ونرى أن صلة الشعر العربي ببلاد شبه القارة يرجع إلى عصور قديمة متوغلة في القدم وأن الشعر العربي الجاهلي تشير بوضوح إلى هذه الصلات القديمة، وأما في صدر الإسلام وفيما بعده من العصور فإن هذه الصلات والعلاقات قد ازدادت قوة واتسعت آفاقها وحدودها وترامت أطرافها وجوانبها- وساعدت تلك الصلات الوثيقة والعلاقات القوية على تطور الآداب

العربية وازدهارها في المنطقة-

وأن العلاقات التجارية التي قامت بين بلاد العرب وبلاد شبه القارة قد استطاعت أن تبذر بذورا صالحة ظهرت ملامحها في الشعر الجاهلي، ثم طلعت بواكيرها عند الفتح الإسلامي وإنشاء الإقليم الشرقي للدولة العربية الكبرى في نهاية القرن الهجري الأول حين فتحت تلك المناطق التي تتكون منها جمهورية باكستان الإسلامية اليوم، والتي كانت قد أصبحت إقليمًا من الأقاليم الشرقية للدولة الأموية في عهد الوليد الأول، وبذلك قد بدأ الشعر العربي مسيرته الطويلة في شبه القارة والتي استمرت خلال القرون وتركت آثارا أدبية تستحق عناية الدارسين واهتمامهم وتقديرهم⁽¹⁾.

من الجدير بالذكر أن العربية خلال تاريخها الطويل الذي يمتد إلى قرون في شبه القارة لم تكن لغة رسمية للبلاد إلا في الفترة التي تلت الفتح الإسلامي، والتي حكم العرب خلالها بلاد السند والمثلثان وما إليهما من المناطق، أما في العصور المتتالية فقد ظلت العربية منوطة برجال الدين ومنعزلة في زوايا المعاهد الدينية التي كانت تحت إشرافهم، ومن ثم لم يزدهر الآداب العربية وعلى رأسها الشعر العربي فقد كان حظه من الاهتمام قليلا نادرا جدا-

وأما تاريخ الشعر العربي في شبه القارة الهندية، فرغم أن الشعر العربي في شبه القارة لا يزال ينتظر من يدرسه دراسة شاملة ودقيقة في نفس الوقت، إلا أن البعض من الدارسين قد تناولوا الشعر العربي في شبه القارة فقسموه إلى سبعة عصور متميزة وأدوار تاريخية وهي:

1-عصر الحكم العربي في السند والمثلثان وما إلى ذلك من المناطق.

2-عصر الدولة الغزنوية

3-عصر دولة المماليك وسلطنة دلهي

4-العصر الزاهر للإمبراطورية المغولية

5-عصر زوالها

6-عصر الاستعمار البريطاني

7-عصر بعد تقسيم الهند

هذه العصور المختلفة والأدوار التاريخية تستوعب أربعة عشر قرنا من الزمان⁽²⁾.

فالفترة الأولى لتطور الشعر في شبه القارة هي التي تلت الفتح الإسلامي في نهاية القرن الهجري الأول حين هاجر البعض من الشعراء العرب مع الجيش الإسلامي المجاهد أو في عقبه كما أن البعض من أهل السند والهند قد نزحوا إلى البلاد العربية وعواصمها الثقافية فتعلموا اللغة بالاحتكاك بأهلها كما تعلموا الشعر فأنتجوه فأبدعوا فيه، وهذا التبادل الثقافي والأدبي بين بلاد العرب وشبه القارة، وإن كان قليلاً ضئيلاً جداً إلا أنه قد تكرر غير مرة خلال القرون، وترك من الآثار الطيبة والنتائج المثمرة الحلوة، يجب العناية بها، وتستحق التقدير والاهتمام-

ومن المعلوم لدى الجميع أن ابتعاد اللغة وأدائها عن عقر دارها وموطنها الأصلي يبعدها عن مستوياتها الأدبية وأساليبها اللغوية

كما أن الإنتاج بها يتقلص ويتخلف ويضعف ويتضاءل كلما ازداد البعد من الموطن الأصلي وانقطعت الصلة بأهل اللغة وكذلك فإن إتقان لغة من اللغات ورفع مستوياتها العلمية وأساليبها الأدبية يحتاج إلى الاحتكاك بأهل اللغة والإطلاع على أساليبهم في التعبير كتابه وحديثه والاستسقاء من موارد الثقافة الأصلية كما أنه في حاجة إلى حفظ الكثير الكثير من آدابهم شعرا ونثرا، وقضية اللغة العربية وآدابها في شبه القارة لا تختلف دون شك وأي استثناء فقد كان من الشعراء العرب الذين هاجروا إلى بلاد شبه القارة، وهم قليلون جدا، فقاموا بدورهم في إنتاج الشعر والتأثير فيما أنتجته تلاميذهم من أهل البلد كما أن من الشعراء والكتاب الذين احتكوا بأهل اللغة من العرب الكرام سواء كان ذلك باللقاء أو الاختلاط مع القادمين الطائرين للزيارة أو بالرحلة إلى البلاد والعواصم الثقافية العربية والمراكز الأدبية مسافرين وطلابا.

وإذا ألقينا نظرة عابرة على ما أنتجه الشعراء باللغة العربية في شبه القارة فإنه يتضح لنا الفرق جلياً بين ما قاله المستفيدون من أحواض العروبة استفادة مباشرة وبين ما أنتجه المقلدون المتكلفون الذين لم يتمكنوا من الارتواء من مناهل أهل اللغة أو الاستفادة من عواصمهم الثقافية مباشرة، ومن هنا نستطيع أن نعرف قيمة المدرسة الشعرية العربية في الشعر العربي الهندي ومدى تأثيرها ومكانتها في العربية وآدابها لشبه القارة.

وأما الشعر العربي في الفترة الأولى التي تلت الفتح الإسلامي واستمرت إلى نهاية الحكم العربي في مناطق بلوشستان، السند والمثلثان، فلم يحتفظ التاريخ كثيرا عن آداب هذه الفترة، فقد عصفت يد الأيام مؤلفات على المديني وأضرابه من العلماء الذين سجلوا الوقائع التاريخية والأحداث الأدبية في خلال العصر العربي في السند ولو لا كتابات البلاذري وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وأضرابهما لما عرفنا شيئا عن العلم والعلماء والشعر والشعراء في هذا العصر العربي، ويعتبر المؤرخون محمد بن القاسم الثقفي رائدا في مضممار الشعر العربي لشبه القارة والذي قال وهو مسجون بمدينة واسط:

فلئن ثويت بواسط وبأرضها رهن الحديد مكبلا مغلولاً⁽³⁾.

وهو الذي يقول، وهو يشكو الزمن وبني أمية الذين غدروا به ولم يقدره حق قدره-

أتنسى بنو مروان سمعي وطاعتي وإني على ما تفني لصبور
فتحت لهم ما بين سابور بالقنا إلى الهند منهم زاحف ومغير
فتحت لهم ما بين جرجان بالقنا إلى الصين ألقى مرة وأغير⁽⁴⁾.

ومن هذا الرعيل الأول من الشعراء العرب المرافقين للجيش الإسلامي المجاهد كان حمزة بن بيض الحنفي الذي رافق محمد بن القاسم فاتح السند وكان من أصدقائه الأوفياء المحبين له، ومن جيد شعره قوله في بطولة ابن القاسم وقيادته للجيش الإسلامي وهو لا يزال فتى يافعا:

إن المروءة والسماحة والنديل محمد بن القاسم ابن محمد⁽⁵⁾.

هناك بعض الآراء الأخرى في انتشار اللغة العربية بشبه القارة الهندية والباكستانية-

قد سبق وأن ذكرت أن الصلات والعلاقات التي قامت بين العرب وشبه القارة قد نقلت إلى بلاد العرب مفردات دخيلة مع

بضائع مستوردة كأسماء لمسمياتها ثم تناولها الشعراء والأدباء فاتخذوها أداة للتعبير عن المعاني والأفكار الشعرية والأدبية التي أحدثتها هذه البضائع المستوردة وأسمائها الدخيلة أو المعربة في كلام العرب، ونجد الكثير الكثير من الشواهد والأمثلة على ذلك ولا نعتبرها بذورا أولى للشعر العربي في شبه القارة ولكنها كانت طلائع بدون شك للدعوة إلى شبه القارة التي قد لبها الكثيرون من الشعراء العرب الكرام فأخذوا ينشدون الشعر ويستخدمون في هذه المفردات الدخيلة أو المعربة-

فمن الشواهد والأمثلة على ذلك ما قاله شاعر عربي وهو يذكر سيوف الهند التي استوردها العرب قديما فأعجبوا بها، والبيت من شواهد المعاجم العربية المعتمد عليها الموثوق بها في كتب اللغة كاللسان والتاج وغيرها-

عصوا بسيوف الهند واعتزكت بهم براكاء حرب لا يطير غرابها

وقد أثرت هذه الكلمات المستوردة الدخيلة في نفوس العرب الجاهليين وأخذت بمجامع قلوبهم حتى سمو بها نساءهم ورجالهم فمن بين هذه الأسماء الشعبية كلمة "هند" التي أعجبت الكثيرين منهم فاختاروها إسما لأولادهم أبناء وبنات، وهذا هو الملك الضليل وإمام الشعراء الجاهليين وقائدهم إلى النار امرؤ القيس بن حجر الكندي يصف أم الحويرث وأم الرباب من الفتيات التي وقعن فريسة لهواه فوجد عندهما رائحة القرنفل أو التمر الهندي المفرح المنشط المفيد فعبّر عن ذلك في معلقته المعروفة قائلا:

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارها أم الرباب بمأسل

إذا قامتا تضوع المسك منهمانسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل⁽⁶⁾.

وتبعه الآخر فقال وهو يصف فتاته الفاتنة الساحرة التي قد وجد في فيها رائحة القرنفل فرفع عقيرته منشدا:

خود أناة كالمهاة عطبولكان في أنياها القرنفل

وهذا الشاعر العرب الأعشى أحد الفحول الجاهليين يصف طعم الرقيق لجارية قد أعجبت فأحبها فقال فيها:

كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا

ولكنهم قد أكثروا من استخدام السيف المهند أو سيف الهند أو ما شاكلهما من الكلمات والتراكيب أو التعبيرات وذلك لأن السيف المصنوع من حديد الهند قد نفعهم في حاجاتهم كثيرا فأعجبوا به وراحوا ينظمون الشعر فأكثروا فيه من استخدامه فهذا كعب بن زهير بن أبي سلمى ينشد قصيدة البردة المعروفة ببانت سعاد لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم فيمدحه بما ويشبه فيها سيف الهند قائلا:

إن الرسول لسيف يستضاء به من سيوف الهند مسلول⁽⁷⁾.

فلم يعجب الرسول ﷺ هذا التعبير ورفض هذا التشبيه الجاهلي فأمره بأن يغيره ويضع سيوف الله مكان سيوف الهند! ومن بواكير الشعر العربي في شبه القارة ما قاله أعشى همدان وهو يصف أهوال بلاد مكران، ويبدو وكأنه تأثر بما قاله حكيم بن جبلة العبدي من الكلام المسجع المرعب المرعب الذي مرنا آنفا في بداية الفصل⁽⁸⁾.

وأنت تسير إلى مكران فقد شحط الورد المصدر

ولم تك من حاجتي مكرانولا الغزو فيها ولا المتجر (9).

ومن طلائع الشعر العربي في شبه القارة ما يتصل بالمهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي المتوفي سنة ثلاث وثمانين من الهجرة النبوية وقد كان قائداً حكيماً وشجاعاً مغواراً، وهو الذي حمى البصرة من الخوارج واقتحم المعارك ضدهم حتى قضى عليهم قضاء حاسماً، وقد ولي خراسان من قبل الحجاج بن يوسف، وقد وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد عرفوا بالمهالبة واشتهر بالسخاء والكرم والشجاعة والتهور وفيهم يقول الشاعر:

إن المهالبة الكرام تحملوا دفع المكاره عن ذوي المكروه

زانوا قديمهم بحسن حديثهموكرم أخلاق بحسن وجوه

وقد سبق هذا القائد العربي الفذ المهلب محمد بن قاسم إلى السند والهند فقاد الجيش الإسلامي في أيام معاوية رضى الله تعالى عنه سنة أربع وأربعين فتوغل في البلاد حتى وصل إلى بنون (BANNU) ولاهور (LAHORE) (بنة ولاهور كما حكاها البلاذري) وفي ذلك يقول بعض الأزدية، وكانوا أغلبية جيش المهلب:

ألم تر أن الأزدلية بيتوا ببنة كانوا خير جيش المهلب! (10).

وقد لاقى المهالبة على أيدي الخلفاء من ساء الجزاء كما لاقى البرامكة على أيديهم بعدهم وقد قال حاجب بن ذبيان المازني في بني المهلب وهو يذكر وقعة لهما بن أحوز المازني في قنابل بالسند:

فإن أرحل فمعروف خليلي وإن أقعد فما بي من خمول

لقد قرت بقنابل عينيوساغ لي الشراب على الغليل

فهذه نبذة يسيرة من البذور الشعرية العربية في شبه القارة---- تلك البذور التي بذرت في ربوع هذه المنطقة خلال العصور المتوغلّة في التاريخ القديم والتي كثرت خلال المهمات العسكرية الإسلامية منذ العصر العثماني حتى امتدت وانتشرت في حقول السند والمثلثان وما جاورهما من المناطق الأخرى المهمة العسكرية التي قادها المهلب بن أبي صفرة ثم أخذت هذه البذور تنتج البواكير الأولى في خلال العصور والمهمات، تلك المهمة العسكرية المهلبية، ونرى هذه البواكير تكثر وتنمو حتى يأتي أو ان إزدهارها وإثمارها بنهاية المهمة العسكرية التي قادها الفتى اليافع والقائد الفذ محمد بن قاسم الثقفي رحمه الله -

فقد ولي سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي ثغر السند خلال ولاية زياد بن أبي سفيان اللعراق، وكان رجلاً فاضلاً متألهاً متديناً ففتح مكران عنوة فجعل منها مدينة عامرة وهو أول من أحلف جنده بالطلاق قبل الخوض في المعركة الحاسمة، وفي ذلك يقول شاعرهم:

رأيت هذيلاً أحدثت في يمينها طلاق نساء ما يسوق لها مهراً

لهان على حلفه ابن محبلاًذا رفعت أعناقها حلقة صفر (11).

وكان سنان الهذلي هذا قد فتح مدينة بودهيّة فأمن من أهلها ولكنهم غدروا به فاستشهد هو في المعركة فرثاه ابن خلاص البكري فقال:

ابلق سنان بن منصور وإخوته أعني هذيلًا كرامًا غير أغمار
 إنا عتبنا عليكم في إمارتكموالدهر ذا قليل في الناس دوار
 يعطي الجزيل وينشر غير مستترولا يزيد ثرى من بعد إقنار
 وكان ممن ولي ثغر الهند عباد بن زياد فأغار علي البلاد واجتاحها حتى وصلى إلى قندهار⁽¹²⁾ ففتحها ووجد أهلها يلبسون
 قلانس طويلة فأعجب بها فصنعت له ولجيشه فسميت بالقلانس العبادية، وقد سجل يزيد بن مفرغ الحميري ذلك في
 شعره فقال:

كم بالجروم وأرض الهند من قدموم سرائك قتلى لاهم قبروا
 بقندهار ومن تكتب منيت هُ بقندهار يرجم دونه الخبر
 ومن ولادة ثغر الهند الذين تركوا ذكريات في التاريخ الإسلامي على ألسنة الشعراء المنذر بن الجارود العبدي وابنه الحكم، وقد
 كان كلاهما قائدا كريما سخيا مع اهتمامهما بالواجب الجهادي والفتوح الإسلامية فقد أرسل المنذر المهمات العسكرية وبث
 السرايا الكثيرة في البلاد وهو الذي فتح مدينة خضدار (أو قصدار) مرة ثانية ومات بها فقال أحد الشعراء يسجل ذلك:
 حل بقصدار فأضحى بها في القبر لم يغفل مع الغافلين
 لله قصدار وأعنا بها أي فتى دنيا أجنحت و دين⁽¹³⁾.

وفي ابنه حكم ابن المنذر بن الجارود يقول عبد الله الأعور الحرامزي وهو يمدح:
 يا حكم بن المنذر بن الجارود أنت الجواد والجواد محمود
 سراق المجد عليك ممدود نبت في الجود وأصل الجود
 ومن عينهم الحجاج بن يوسف على ثغر السند والهند قبل القاد الياقع الثقفي سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي فأتى إلى مكران
 وما إليها من البلاد المفتوحة على أيدي من سلفه من القواد والحكام فخرج عليه العلاقيون وهم أولاد ريان بن حلوان بن عمران
 بن الحاف بن قضاة، وعلاف لقب ريان، وقد قاد العلاقيين معاوية وأخوه محمد ابنا الحارث ومحمد هذا هو القائل:

لا تقيمن بدار لا انتفاع بها فالأرض واسعة والرزق مبسوط
 وقتل العلاقيون سعيدا هذا فبلغ الفرزدق فقال يرثيه:
 سقى الله قبرا من سعيد فأصبح تنواحيه أرى عليك تراها
 لقد ضمت أرض بمكران سيدا كريما جوادا لا يواكف سحابها
 شديداً على الأذنين منك أحسنوا عليك من الثوب المهام حجابها
 وكان ممن رثى سعيداً هذا صعصة بن محربة الكلابي، وقد أرسل الحجاج رأس سليمان العلاقي إلى أسرة سعيد وأهله وأقاربه،
 وأعطى لهم من المال مما أبكى أهل سعيد ومواليه وعبيده، فقال صعصة بهذه المناسبة:
 أعاذل كيف لي بهموم نفسي سيذكرى تابعا فيها سعيدا
 وإخوانا له سلفوا جميعا غطارعة من الأذنين صيدا

إذا ما الدهر حل فلم يكونوا بما قد حل من أمر شهودا

إن فتح بلاد السند على يد القائد اليافع محمد بن القاسم الثقفي لم يكن حدثاً عادياً أو مهمة عسكرية كسوء الفها التي تكررت وتكاثرت ولكنها لم تأت بشيء من النتائج الحاسمة أو المفيدة المثمرة، فأما هذا الفتح فقد كان من الوقائع التاريخية التي غيرت مجرى التاريخ لهذه البلاد ومهدت السبل لما أتى بها من الحوادث والوقائع بعدها طوال العصور، وقد كانت آخرها أو أحدثها إنشاء جمهورية باكستان الإسلامية في هذه المنطقة التي ظلت مدة في ظل الخلافة الإسلامية بعاصمتيها في دمشق وبغداد، وأيضاً كان من الطبيعي أن يترك هذا الحدث العظيم والقائد الفذ من تأثير وذكريات تلك في قلوب الناس ونفوسهم وفي سجلات التاريخ وصفحاته، ومن بين هذه الآثار والذكريات تلك القصائد العربية الرائعة التي أنتجتها هذه الوقائع والأحداث، إن هذه القصائد العربية الرائعة تستحق الإعجاب والتقدير كما أنها تقتضي منا أن نقف عندها وقفة أطول وأن نختتم بها اهتماماً أكبر.

وهذه القصائد العربية التي صاحبت ذلك الفتح الإسلامي العظيم فخلدت ذكراها، تنقسم إلى ثلاثة أقسام، فالقسم الأول منها ما قبيل في ذلك الفتى اليافع الثقفي الذي قاد الجيش الإسلامي الفاتح وهو لم يتجاوز السابعة عشر من عمره -والقسم الثاني يرجع إلى ما قبل في يوم داهر حاكم السند الظالم الذي سخر بالحجاج حين رفض أن يعاقب اللصوص والقراصنة الذين استأسروا الأيامي المسلمين واليتامى البائسين من العرب وقبضوا على الممتلكات والهدايا التي بعث بها ملك جزيرة سرنديب -وأما القسم الثالث منها فهو ما قاله ذلك القائد اليافع الثقفي حين قبض عليه وأصيب بأشنع تعذيب في سجن واسط على أيدي أعدائه الخاقدين.

فأما القسم الأول فمنه هذه الأبيات الجميلة من الشعر العربي في شبه القارة والتي قد أنتجها حمزة بن بيض الحنفي وأهداها لروح القائد اليافع الذي قاد الجيش الإسلامي المجاهد وفتح بلاداً كانت قد أعيت العديد من القواد المسلمين العرب وحقق انتصاراً على عدو أقوى منه في عقر داره، وأتى على وعلى بقاياها فأصبحت البلاد مدناً إسلامية ولا تزال كذلك حتى اليوم. إن هذا الانتصار الباهر قد حير الكثيرين من دارسي العلوم الحربية والاستراتيجية كما أدهش المؤرخين من المسلمين والأجانب على السواء.

إن المروءة والسماحة والتدليل محمد بن القاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة ياقرب ذلك سؤددا من مولد⁽¹⁴⁾.

وقال شاعر آخر في ذلك، ولكن بفرق يسير في اللفظ والمعنى:

ساس الرجال لسبع عشرة حجة ولداته عن ذاك في أشغال⁽¹⁵⁾.

وكان غديل بن فرح صديقاً لمحمد بن القاسم فضح أصدقائه في غيابه ناقة مما جعل غديلاً يقول:

سلبت بناتي حليهن فلم أَدعسواراً لا طوقاً وقرطاً مذهباً

وما غربي الأذان حتى كأنما تعطل البيض الأرباب أربنا

من الدر والياقوت من كل حرة ترى سمطها فوق أغمار مثقباً

دعون أمير المؤمنين فلم يجبدعاء فلم يسمعن أما ولا أبا
وقد كان يوم داهر يوما عظيما للجيش الإسلامي الذي غزا بلاد السند وفتحها، وقد سُر جنود ابن القاسم وفرحوا به فرحا
كبيرا، مما جعل الكثير منهم ينظم الشعر ويسجل فرحته وسروره ويخلد ذكره في التاريخ الإسلامي، وقد ادعى كل واحد
منهم بأنه هو الذي صرع (داهرا) وقهره وغلب على ه وأرغمه في التراب، فمن هؤلاء عمرو بن مغيرة الكلابي وهو القائل:
الخليل تشهد يوم داهر والقناومحمد بن القاسم بن محمد
أني فرجت الجمع غير معردحتي علوت عظيمهم بمهند
فكرته تحت العجاج مجدلاً متعفر الخدين غير مؤسد (16).
وهذا عبد الله بن سويد (17). أحد بني شقرة بن الحارث بن تميم يقول نفس اكلام ويدعي نفس الدعوى قائلاً:
ألا هل الفتيان بالسند مقدمي على بطل قد هذه القوم ملجم
فلما دنا للزجر أو زعت نحو هبسييف ذباب ضربة المتلوم
شدت له كفي وأيقنت أني على شرف المهواة إن لم أصمم (18).
ويدعي أحدهم فيقول:
نحن قتلنا داهراً ودوهرأ والخليل تردي منسراً فمنسراً (19).
ومن ذلك ما قاله أحد جنود محمد بن القاسم وكان يعرف بابن هاشم وكان قد أصيب بجروح يوم داهر فمات، وهو يقول
لأصحابه:
ألا فاصبحاني قبل وقعة داهرو قبل المنايا قد غدون بواكر
وقبل غد، يالهف نفسي على غد إذا ما غدا صحي ولست بياكر! (20).
ومما قيل عن هذه المناسبة قول رجل من ثقيف حين رأى رأس داهر مع الغنائم الكثيرة المتنوعة عند الحجاج فأنشد يقول:
فتحت بلاد السند بعد صعوبة ومهابة لمحمد بن القاسم
ساس الأمور سياسة ثقفية بشهامة منه ورأى حازم
أذن الأمير غداة وداعه كان الأمير مؤدبا في العالم
ما غاب عنه من الأمور رزانة فيه اليقين له عيان العالم (21).
وأما القسم الثالث الذي نظمته القائد الفذ الفتى اليافع محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند ورائد الإسلام في شبه القارة، من
الآبيات الشعرية وهو محبوس سجين بواسطة، فهي تقوم مقام الزهرة التي توضع فوق باقة الزهور فكأنها من كلام الملوك وملوك
الكلام، وتعبّر عن عزائم القادة المنكوبين، وتمثل مشاعر العظماء الساقطين، وتنبئ عن بلاغة النبلاء الكرام كما أنها تمتاز
بطابع خاص من شعر الشعراء القادة الفرسان من أمثال عنزة العبسي وقطري بن الفجأة وثابت قطنة العتكي وأضرابهم الذين
حملوا السلام فسجلوا الوقائع العظيمة والفخر والشجاعة والفروسية، ثم قالوا الشعر فأتوا فيه بالعجائب من تمجيد الشجاعة
والفروسية والمروءة والكرم فحببوا إلى الناس فكأنهم أرادوا بذلك أن يجعلوا من البخلاء أجواداً ومن الجبناء فرساناً!

ويروي له قطعة شعرية من ثلاثة أبيات تعبر عن عواطفه من الندامة والحسرة على ما قرره من النزول عند حكم الخليفة الجديد الجائر والاستسلام للعدو القاسي الديني حين لم يفعل شيئاً غير ما قاله متمثلاً بقول القائل:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا اليوم كريمة وسداد ثغر!! (22).

فقد كان بإمكانه أن يقرر مصيراً آخر غير ما قرره، والذي صار إلى، كما أنه بكى فيها على الدهر الفاتك الغدور بالكرام وشكا من خيانتهم بهم قائلاً:

لو كنت جمعت القرار لوطئت إناث أعدت للوغى وذكر
وما دخلت خيل السكاسك أرضنا ولا كان من عك على أمير
ولا كنت للعبد المزوني تابعاً فيالك دهر بالكرام عثور! (23).

وله بيتان يعبران عن الصبر والاعتبار والتعزية والسلوى كما يعبران عن شجاعة القواد المنكوبين وحماسة العظماء الساقطين حين لا يجدون السبيل غير السلو والعزاء مفتخرين بما حققوه من الأجداد والانتصارات فيما قضوا من حياتهم العملية الحافلة:

فلئن ثويت بواسط وبأرضها رهن الحديد مكبلاً مغلولاً
فلرب فتية فارس قد رعتها ولرب قرن قد تركت قبلاً (24).

كانت هذه هي القصائد الرائعة بأقسامها الثلاثة من الشعر العربي في شبه القارة والتي أتى بها الفتح الإسلامي المجيد الذي تم على يد القائد الفذ الفتى الياقوت محمد بن القاسم الثقفي رحمه الله، وقد بقي لنا شيء قليل من هذه القصائد الشعرية فمن ذلك قول جرير يمدح الجنيد بن عبد الرحمن المري الذي ولاه هشام بن عبد الملك ثغر السند وكان من الفرسان الشجعان والأسخياء الكرام:

أصبح زوار الجنيد وصحبهم يحيون صلت الوجه جما مواهبه
بحق امرئ يجري فيحسب سابقان بهرم وابنا سنان حلاله
وتلقى جنيداً يحمل الخيل معلماً على عارض مثل الجبال كتابه (25).

وفيه يقول أبو الجويرية:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرمهم أو محسبهم فعدوا
محسدون على ما كان من كرم لا ينزع الله منهم ماله حسدوا (26).

ومن هذه القصائد قول الفرزدق في ابن العجوز التي عازت بقبر غالب أبي الفرزدق، وذلك حين كانت الحروف العربية كلها مهملة ليس لها شيء من النقط، فقد ولي تميم بن زيد العتيبي بعد الجنيد المري المذكور، وكان تميم من أسخياء العرب وكرمائمهم، وكان قد شخص معه في الجند فتى من بني يربوع وكان يسمى خنيساً، وكانت أمه من طيء فأتت الفرزدق فسألته أن يكتب إلى تميم ليعيد عليها ابنها الوحيد ثم عازت بقبر أبيه غالب فكتب الفرزدق إلى تميم قوله:

أتنتي فعازت يا تميم بغالب بالحفرة السائي عليها تراها
فهب لي خنيساً واتخذ فيه منة لحوية أم ما يسوغ شراها (27).

فلم يدر تميم ما اسم الفتى المطلوب إذ وجد العديد من الجنود من اسمه حبيس وحبيش وخنيش فأمر بإقفال كل من كان اسمه على مثل هذه الحروف-

ومن الشعراء العرب المهاجرين إلى بلاد السند والملتان هارون بن موسى الأزدي عاش في القرن الثاني للهجرة، الذي ورد ذكره في المراجع العربية القديمة والذي اشتهر وعرف بلقب شاعر الملتان، وهو من الشعراء العرب الفرسان الشجعان، وله معارك شهيرة مدهشة مع الفيل وقد نظم في ذلك شعرا كثيرا قد روى البعض منه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الحيون⁽²⁸⁾. وقد زاره المسعودي خلال أسفاره ورحلاته إلى البلاد النائية وذكره في كتابه مروج الذهب⁽²⁹⁾. فقال إنه رآه مقيما في بعض حصون السند والملتان معززا مكرما بين قومه الذين قادهم في العديد من المعارك الجهادية وكان شاعرا شجاعاً وجندياً مغامراً وكان جيش أعدائه يضم كتائب الأفيال فابتكر حيلة حربية ناجحة لمواجهة الفيل ومن شعره يصف فيه بلائه ومعركته مع الفيل وانتصاره على جيش الأعداء ويقول:

مشيت إليه وادعا متمهلاً وقد وصفوا خرطومهم بحسام

فقلت لنفسي إنه الفيل ضارباً بيض من ماء الحديد هدام

فان تنكلي عنه فعذرک واضلحدي كل منخوب الفؤاد عمام⁽³⁰⁾.

ومن شعره في الفيل قوله يصفه فيه ويذكر حيلته الأخرى للتغلب على جيش العدو والانتصار عليه في المعركة:

وأقبل كالطود هادى الخميس بهول شديد أمام الرعيل

ومرسيل كسيل أتيبوء خفيف وجرم ثقيل

فإن شمت ه زاد في هولهبشاعة أذنين في رأس غولـه

وقد كنت أعددت هراً لهقليل التهييب للزند بيل

وقد اشتد ولوع الشاعر وإعجابه بالفيل حتى أنه يكاد يعرض عن ركوب الخيل والنوق ويفضل الفيل مركبا في رحلاته وأسفاره

ولا يفتأ يذكره وحتى في سفره إلى من قصده مادحا مستجديا:

فكنت في طلي من عنده فرجاً كراكب الفيل وحشياً ومعتلماً

قد كنت صعدت عند بغبور مغترباحتي لقيت بها حلف الندى حكماً

وله أبيات تدل على أنه كان فارساً شجاعاً وبطلاً مغواراً يفضل الموت على حياة الذل والجبن وهي:

هانت على سبال اعار والعذلفلست آنف من حيني ومن فشلي

إني بخلت بنفس لا يجاد بها ولست بالمال يفديها أخا بخل

متى رأيت شجاعاً مات بالأجل أو نال من لذة الدنيا مدى الأجل

ويمكن أن نعد أبا العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي اللاهوري⁽³¹⁾. من الشعراء العرب المهاجرين إلى بلاد جنوب آسيا لأنه

من أصل عربي قد هاجرت أسرته إلى إيران ومن هناك إلى غزنة فلاهور فهو غزنوي المولد، لاهوري الوطن، ورغم أنه قال

الشعر باللغتين الفارسية والعربية إلا أن شعره لا تخلطه شيء من العجمة فهو خال من ركاكتها ولا تشينه الهجنة فهو نقي من

شوائبها-

وهذا الشاعر الفذ قد كان من أصدقاء مسعود سعد سلمان اللاهوري⁽³²⁾. الذي كان كصديقه ينتمي إلى أسرة عربية كريمة ذات النباهة والفضل، وقد تولى أبو العلاء اللاهوري المناصب الإدارية الكبيرة بمدينة لاهور خلال الحكم الغزنوي، ثم قبض على ه ووضعه في سجن بعيد عن المدينة حيث ظل سجيناً يكابد الآلام لمدة ثمانية أعوام وأفرج عنه في عهد السلطان إبراهيم الغزنوي في 472هـ، فقصى بقية أيام من حياته في لاهور حيث مات بها في 491هـ ومن شعره:

الل ه جار عصابة ودعتهموالدمع يهمني والفؤاد يهيم

قد كان دهري جنة في ظلمهمساروا فأضحى الدهر وهو جحيم

كانوا غيوث سماحة وتكرمفاليوم بعدهم الجفون غيوم

رحلوا على رغمي ولكن جبهمين الفؤاد المستهام مقيم⁽³³⁾.

أما الشعر العربي على ألسنة الشعب الهندي المسلم فلم يبرز إلا في القرن الثاني الهجري حينما انتشرت مجالس العلم وفاضت حلقات الأدب في أرجاء السند بصفة خاصة وتخرج فيها كثير من سكانها وتفننوا بفنون العربية وحذقوها، فحينئذ بدأ اهتمامهم بنظم الشعر العربي وقد طلع نجم عدة شعراء العربية في هذا القرن، على رأسهم أبو عطاء السندي المتوفى بعد الثمانين المائة للهجرة⁽³⁴⁾، وهو من الناشئين بين ظهرائي الحرب وأصله من السند وله حظ في النظم العربي لا يقل عن حظ شعراء القوم أنفسهم، وقد قام الدكتور نبي بخش بلوش بجمع شعره المتناثر في بطون مؤلفات الفنون العربية واقتطف منه نتفا مشتقة، كما أورد صاحب الحماسة نماذج له توحى بتأصله في الشعر العربي والسليقة اللغوية التي قلما تتاح بغير العرب كما أن له نصيباً في التطورات التي لحقت الشعر العربي وخاصة التطور السياسي الذي تميز به أيام الصراعات بين المويين والعلويين وبنو العباس فساهم فيه بشعره حيث قال في نقض دليل الهاشميين على حقهم في الخلافة:

بني هاشم عو دوا إلى نخلاتكمفقد قام سعر التمر صاعاً بدرهم

فإن قلتهم رهط النبي وقومهمفإن النصارى رهط عيسى بن مريم⁽³⁵⁾.

ومما سرده صاحب الحماسة من شعره في رثاء ابن هبيرة عامل بني أمية وقد قتله المنصور الخليفة العباسي بواسطة:

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسطعليك بجاري دمعها لجمود

عشية قام النائحات وشققتجيوب بأيدي مآتم وخدود⁽³⁶⁾.

ومنهم أبو الضلع السندي، من رجال القرن الثاني أو الثالث الهجري (١) وينسب إليه-

ديوان بثلاثين ورقة⁽³⁷⁾. نزل ببغداد ومات بها وله أشعار فصيحة ومليحة ومن شعره:

يا نفس صبرا لا تملكي يأساقد فارق الناس قبلك الناسا

صبراً جميلاً فلست أول منأورثه الظاعنون الوسواسا⁽³⁸⁾.

ومنهم عياض السندي، أرسله حكام الهند وفداً على أرض العربية فقد وصل إلى بغداد قبل سنة 187هـ- وأنشد قصيدته ليحيى بن خالد البرمكي أو ابنه، وزير هارون الرشيد الخليفة العباسي-⁽³⁹⁾.

ومن رواد الشعر العربي في الهند محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك (المتوفي عام 360هـ، وقد ذاعت صيته كشاعر عربي في بغداد وحلب، وقد عرف بلقب كشاجم والذي يعبر عن ميزاته الخمسة من كونه كاتباً وشاعراً وأديباً ومنجماً، وقد طبع ديوانه من بيروت باسم ديوان كشاجم، ومن شعره في تجارب الحياة:

والدهر حرب الحبي وسلم ذي الوجه الوقاح وعلى أن أسعى وليس على إدراك النجاح⁽⁴⁰⁾.

فهؤلاء هم رواد الشعر العربي في الهند، وينبغي أن يلاحظ أن جل هذه النشاطات الأدبية وغيرها في صدر الإسلام كان محلها المناطق التي تشكل دولة باكستان حالياً، ففيها تأسست المراكز العلمية وبها قامت دويلات عربية ومنها نبغت شخصيات علمية وأدبية وقد تناثرت آثارهم في بطون الكتب القديمة، عثر على بعضها ولا يزال بعضها الآخر وراء ستار في انتظار كشفه، ثم لما توطدت دعائم الإسلام وتوسعت دائرة العربية وانتشرت تأثيراتها وشملت معظم أكناف الهند، كثر عدد العلماء والشعراء من سكان البقعة وقد أخذوا من الثقافة العربية حظاً وافراً، حتى جاء عصر النهضة العلمية الأدبية بعد ما أصبعت دهلي مركز مسلمي الهند، سياسة وعلماً فبدأ الاهتمام بجميع مجالات العلوم الإسلامية والعربية نظماً ونثراً، وكم ظهر من الشعراء الذين اختبروا قد رآهم في النظم العربي وجعلوا أبواباً متعددة من الموضوعات الأساليب الشعرية.

الخواشي والهوامش

- 1 . جامعة بنجاب: تاريخ ودييات مسلمانا باكيستان وهند (الأردية)، 2/33-40.
- 2 . أظهر، ظهور أحمد، مجلة المجمع الباكستاني، العدد الثالث، ص: 35.
- 3 . البلاذري، فتوح البلدان، ص: 262.
- 4 . المرزباني: معجم الشعراء، ص: 412.
- 5 . جامعة بنجاب: تاريخ مسلمانا باكيستان وهند (الأردية)، 2/40.
- البلاذري: فتوح البلدان، ص: 262.
- 6 . الزوزني: شرح المعلقات السبع، لاهور: المكتبة العربية، ص: 14.
- 7 . ملك، خالق داد، (الدكتور): شذرات من الشعر العربي، لاهور، آزاد بكديو، 2004م، ص: 98.
- 8 . البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، ص: 4.
- 9 . ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، 4/305.
- 10 . البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، ص: 258.
- 11 . البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، ص: 258.
- 12 . مدينة قندهار في أفغانستان، الآن، وكانت تابعة أيام حكومة المغول، والقداامي من الكتاب العرب يعرفونها من بلاد السند والهند كما ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان، 4/93.
- 13 . البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، ص: 259.
- 14 . جامعة بنجاب، تاريخ أدبيات مسلمانا باكيستان وهند (الأردية) 2/40.
- 15 . نفس المرجع، 2/40، والبلاذري: فتوح البلدان، ص: 262.
- 16 . البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، ص: 261.

- 17 . عبد الله بن سعيد فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يره ، أنظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة، 92/3.
- 18 . الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، 82/3.
- 19 . البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، ص: 262.
- 20 . أظهر ، ظهور أحمد: مجلة المجمع العربي الباكستاني، العدد الثاني، ص: 26.
- 21 . البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، ص: 537.
- 22 . نفس المرجع، ص: 262.
- 23 . البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، ص: 262.
- 24 . نفس المرجع
- 25 . جامعة بنجاب: تاريخ أدبيات مسلماناان باكستان وهند (الأردية) 41/2.
- 26 . جامعة بنجاب: تاريخ أدبيات مسلماناان باكستان وهند(الأردية)، 41/2.
- 27 . البلاذري: فتوح البلدان، ص: 263.
- 28 . الجاحظ: كتاب الحيوان، 75/7-76.
- 29 . المسعودي: مروج الذهب، 9/2-10.
- 30 . الجاحظ، كتاب الحيوان، 115/7.
- 31 . عبد الحي: نزهة الخواطر، 86/1، وجميل أحمد (الدكتور) حركة التأليف، ص: 52، ومحمود محمد عبد الله: اللغة العربية في باكستان، ص: 35.
- 32 . آزاد، غلام علي: سبعة المرجان، ص: 27-28، نزهة الخواطر، 114-116.
- 33 . اللكهنوي، عبد الحي: نزهة الخواطر، 84/1-86، وأحمد جميل (الدكتور) : حركة التأليف، ص: 49.
- 34 . الزركلي، خير الدين، الأعلام، 342/1.
- 35 . ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص: 746.
- 36 . أبو تمام: ديوان الحماسة، ص: 209.
- 37 . ابن النديم: الفهرست، ص: 233.
- 38 . أظهر المباركفوري، رجال السند والهند، ص: 270.
- 39 . جامعة بنجاب: دائرة المعارف الإسلامية، 351/11.
- 40 . قريشي، محمد إسحاق(الدكتور): برصغير پاک وهند میں نعتیہ شاعری (المدائح النبوية في شبه القارة الهندية والباكستانية)، ص: 459، وتاريخ أدبيات مسلماناان باكستان وهند، 48/2.